مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الحادي والعشرون - المجلد الخامس - التاريخ - حزيران 2023 م
doi.org/10.52866/esj.2023.05.21.01

مدينة ارسوف والفتح الاسلامي

أمجد هاشم محمود الجميلي
الجامعة العراقية/ كلية التربية

أ.د. أحمد علي صكر المشهداني
الجامعة العراقية/ كلية التربية

مستخلص:

عالجت هذه الدراسة احوال مدينة ارسوف والتي تعتبر من المدن الموغلة بالقدم والتي اسسها الكنعانيون في الالف الثاني قبل الميلاد، وتعد من المدن الفلسطينية الساحلية، مروراً بالإمبراطوريات والدول التي تعاقبت على احتلالها مثل اليونانية والساسانية والبيزنطية، لما تمتاز به من موقع استراتيجي، وقد اطلق على هذه المدينة عدة اسماء حسب الاوضاع السياسية والدينية لها ومن هذه الاسماء (ارسوف، ابولونيا، صوزوسا)، الى ان دلت تحت ظل الدولة العربية الاسلامية التي تمكنت من طرد النفوذ البيزنطي من بلاد الشام بشكل عام و مدينة ارسوف بوجه الخصوص عام 15 للهجرة.

كلمات مفتاحية: مدينة، ارسوف، الفتح .

The city of Arsuf and the Islamic conquest

Amjad Hashem Mahmoud
Al- Iraqi University
College of Education

Prof. Dr. Ahmed Ali Sakr
Iraqi University
College of Education

Abstract :

This study deals with the conditions of the city of Arsuf, which is considered one of the ancient cities founded by the Canaanites in the second millennium BC. The city has several names according to its political and religious conditions, including (Arsuf, Apollonia, Sozosa), until it fell under the shadow of the Arab Islamic state, which was able to expel Byzantine influence from the Levant in general and the city of Arsouf in particular in the year 15 AH.

المبحث الاول

اولاً: التسمية (اصل التسمية)

تعد مدينة ارسوف واحدة من اقدم المدن التي ظهرت في بلاد الشام، وهي من المدن التي اسسها الكنعانيون [1] منذ حوالي اربعة الالاف عام، لذلك ذكرت المدينة في عدد من المصادر التاريخية منها على سبيل المثال ما ورد في نقوش الملك الاشوري[2] ((تجلات فلاسر الثالث))[3]، وتفيد الدراسات التاريخية ان اصل تسمية ارسوف مشتق من اسم الاله السامي رسيف[4]، أو رشف وهي تعني اله الحرب والعالم الاخر.

ومن الجدير بالذكر ان هذه المدينة قد تعرضت وعبر تاريخها الطويل لمتغيرات كثيرة تبعاً للظروف السياسية والعسكرية في عموم فلسطين، وفي مقدمة هذه المتغيرات تسميتها، حيث صار اسمها (ابولونيا) نسبة لأله اليونان المعروف حين خضعت فلسطين للسيطرة اليونانية عام 333 ق.م[5].

وفي العصر البيزنطي تغير اسمها مرة أخرى حيث اطلق عليها البيزنطيون بعد غزوها تسمية (صوزوسا) وتعني مدينة المسيح المخلص، وذلك لان المسيحيين ارادوا معارضة الايحاءات الوثنية التي حملها الاسم اليوناني (ابولونيا)[6]، وعلى العموم فانها وردت في المصادر العربية والاسلامية بصيغ والفاظ مختلفة، فهي عند البلدانيين وردت باسم (ارسوف) بالفتح ثم السكون وضم السين المهملة وسكون الواو وفاء[7].

وعند الاخباريين وردت باسم ارسوف بضم الهمزة وسكون الراء وضم السين المهملة وسكون الواو وبعدها فاء[8] وكثرة تردد اسم المدينة في

---

(1) الكنعانيين: اقوام بدأت هجرتها من شبه جزيرة العرب الى بلاد الشام وسواحل البحر الابيض المتوسط منذ أوائل الالف الثاني قبل الميلاد، ينظر: الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، الموصل، جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، 1994م، ص46. واسم الكنعانيين مأخوذ من الكلمة العربية القديمة ذات الجذر (كنع) والتي تعني الارض الواطئة بالإشارة الى موطنهم أي الساحل، والقسم الغربي من فلسطين، ولكنه استعمل بعد ذلك ليشمل قسماً كبيراً من سوريا، وكل فلسطين. ينظر الفتيان، احمد ملك، دراسات في التاريخ القديم، بغداد، مكتبة عادل، 2011، ص347.

(2) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، الاسكندرية، دار الهدى، 1991م، ج4، ص350.

(3) تجلات فلاسر: وهو الملك الاشوري الذي تمكن من السيطرة على زمام الحكم بعد الثورة التي اطاحت بالملك اشور نراري الخامس، وقد استطاع هذا الملك خلال فترة حكمه القصيرة التي لا تزيد عن 18 عام 745 – 727ق.م ان يعيد للدولة هيبتها ومكانتها السابقة بين دول الشرق الادنى القديم، ينظر: الفتيان، المرجع السابق، ص183.

(4) في دائرة المعارف الاسلامية، ترجمة: ابراهيم زكي خورشيد وآخرون، د.ط، القاهرة، د.ت، ص600.

(5) الاحمد، سامي سعيد الاحمد، تاريخ فلسطين القديم، مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد، الاسكندرية، 1979م، ص246.

(6) جونز أ.هـ.م، مدن بلاد الشام، ترجمة: احسان عباس، د.ط، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، د.ت، ص15.

(7) الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت:626هـ)، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، ج1، ص 207.

(8) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد ابراهيم بن ابي بكر ابن خلكان البرمكي الاربلي (ت:681هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ج4، ص 154؛ السمعاني، ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور

المصادر التاريخية يعكس مالها من اهمية من ناحية موقعها الساحلي المهم وكثرة مرتادیها على مدى مراحل زمنية متعددة، و ارسوف مدينة ساحلية صغيرة، فهي اصغر من مدينة يافا، وهي – أي ارسوف– مدينة حصينة عامرة ولها سوق وعليها سور[1].

وهي متقاربة مع بعض المدن الفلسطينية مثل مدينة عسقلان[2] ومدينة يافا في مقاديرها و صفاتها واحوال اهلها مع انها مدن لطاف كثيرة العمارة وبها انواع عديدة من الاشجار المثمرة كشجرة الزيتون والكروم[3]، ان مدينة ارسوف تعتبر اضافة الى كونها من الاراضي والممتلكات الاسلامية، من ضمن الثغور[4] البحرية[5] المرابطة التي تحول بين اراضي الدولة الاسلامية وبين اراضي اعدائها الروم البيزنطيين، ولذلك ارتبط بها عدد من المجاهدين[6]

التميمي (ت:562هـ)، الانساب، تح: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر اباد، 1962م، ج1، ص166.

(1) المقدسي، المطهر بن طاهر المقدسي (ت: نحو355هـ)، البدء والتاريخ د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، د.ت، ص174؛ – المهلبي، الحسن بن احمد المهلبي العزيزي (ت:380هـ)، العزيزي او المسالك و الممالك، جمعه وعلق عليه و وضع حواشيه: تيسير خلف، ط1، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، 2006م، ص–63 64؛ ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن ايوب، الملك المؤيد صاحب حماة (ت:732هـ)، تقويم البلدان، تح: رينود والبارون ماك كوين ديسلان، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ص239؛ الدومنكي، الاب أ.س مرمرجي، بلدانية فلسطين العربية، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1987م، ص30.

(2) عسقلان: بفتح اوله، وسكون ثانيه ثم قاف، واخره نون، هو اسم اعجمي وقد ذكر بعضهم ان العسقلان اعلى الراس، فان كانت عربية انها اعلى الشام، وهي مدينة بالشام من اعمال فلسطين على ساحل البحر ويقال لها عروس الشام وكذلك لدمشق، ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص51.

(3) الادريسي، ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف (ت:560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ج1، ص364.

(4) الثغور: جمع ثغرة، وهي كل فرجة في جبل او بطن واد او طريق مسلوك، والثغرة تعني الثلمة، يقال ثغرناهم أي سددنا عليهم الثلم، والثغر المكان الذي يلي دار الحرب، وايضا يوصف الفم بالثغر، ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ابو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت:711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ=ـ=، ج4، ص 103 – 104. والثغر بالفتح والسكون هو كل موقع قريب من ارض العدو، ينظر : الحموي، معجم البلدان، ج2، ص79.

والثغور أيضاً هي المواضع الخطيرة من الحدود التي يتسنى للعدو التسلل منها بسهولة الى ارض عدوه، ولهذا تجب حراستها و العناية بها، بوضع حاميات بها لتشغل العدو ولتصده من الولوج اليها، ينظر: العلي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ط4، دار الساقي، 2001م، ج9، ص323؛ ايضا المضافة من فروج البلدان. و(الثُّغرة) الثلمة، ينظر: الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر(ت:666هـ)، مختار الصحاح، د.ط، الرسالة، الكويت، 1983م ، ص84.

(5) ابن قدامة، ابي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (ت:329هـ)، الخراج وصناعة الكتابةأ تح: محمد حسين الزبيدي، ب.ط، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام– العراق، 1981م، ص 188.

(6) المجاهدين: مفردها مجاهد و الجهاد: الارض المستوية انبتت او لم تنبت والصحراء والارض الصلبة. ويقال: ارض جهاد. وفي الحديث انه: ص نزل بارض جهادٍ وثمر الاراك، والجهاد شرعاً: قتال من ليس لهم ذمة من الكفار. ينظر: الرازي، المصدر السابق، ص142.

المرابطين[1] وانتسب اليها عدد من العلماء امثال ابي يحيى زكريا بن نافع الارسوفي[2]، وعباد بن عباد الرملي الارسوفي ابو عتبة الخواص الزاهد[3]، واسماعيل بن عباد الارسوفي[4]، والعباس بن الفضل الارسوفي[5].

ثانياً: الموقع

تقع مدينة ارسوف على سواحل بحر الشام أو (البحر الرومي)[6]، بين قيسارية[7] ويافا[8] في

(1) - ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4، ص 154. المرابطين: مفردها مرابط والرباط هو من مرابطة الخيل وهو ارتباطها بازاء العدو في الثغور، والعرب تسمي الخيل اذا ربطت بالافنية وعلفت: رُبُطاً، و احدها ربيطٌ، ويجمع الرُبُط رِباطاً، وهو جمع الجمع قال الله تعالى: ((**واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم**)) الانفال: اية 60. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج7، ص 303.

(2) ابو يحيى زكريا بن نافع الارسوفي: هو ابو يحيى زكريا بن نافع الارسوفي، هو احد علماء مدينة ارسوف المشهورين بالجهاد والمرابطة تتلمذ على يد مشايخها، سافر الى دمشق ومدن الشام الاخرى وقد تفرد بخبر طويل في قصة سلمان الفارسي ﷺ، كانت وفاته بين (230-221هـ). ينظر: الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت:748هـ)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: بشار عواد معروف، ط1، دار الغرب الاسلامي، د.م، 2003م، ج5، ص571.

(3) عباد بن عباد الرملي الارسوفي: هو ابو عتبة الخواص عباد بن عباد الارسوفي، فارسي الاصل، مان من فضلاء اهل الشام وعبادهم، روى عنه الكثير من اهل الشام، اشتهر بالزهد والتقشف. وكتب اليه سفيان الثوري الرسالة المشهورة في الوصايا و الآداب والحكم والامثال والمواعظ. ومن شمائله انه كان لا يقرأ إلا في مصحف غير منقوط. ينظر: المزي، جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف ابو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي ابي محمد القظاعي الكلبي (ت:742هـ)، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م، ج14، ص 134 - 135.

(4) اسماعيل بن عباد الارسوفي: وهو احد العلماء البارزين في مدينة ارسوف وكان من فقهاء المدينة. ينظر: العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر (ت:852هـ)، لسان الميزان، تح: دائرة المعارف النظامية- الهند، ط2، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، 1971م، ج2، ص300.

(5) العباس بن الفضل الارسوفي: وهو احد العلماء المجاهدين المرابطين في مدينة ارسوف. ينظر: العسقلاني، المصدر نفسه، ج3، ص 243.

(6) بحر الشام او البحر الرومي: وهو بحر الروم والشام ومصر والمغرب والاندلس و الافرنجة والصقالبة و رومية وغيرهم من الامم، طوله خمسة الاف ميل وعرضه مختلف فمنه ثمانمائة ميل ومنه سبعمائة ميل للبر على مرور الازمان و ذهب قوم الى ان طوله ستة الاف ميل، و اعرض موضع فيه اربعمائة ميل، ومبدؤه خليج اخذ من بحر اوقيانوس المحيط يعرف بالزقاق بين طنجة و سبتة من سواحل افريقية وبين سواحل جزيرة ام حكيم وغيرها من سواحل جزيرة الاندلس، عرضه هنالك نحو من عشرة اميال، و جريته بينه تكون من مبدئه الى ان يتسع ويعظم نحوا من ثلاث ايام. ينظر: المسعودي، ابو الحسن، على بن الحسين بن علي المسعودي (ت:346هـ)، التنبيه والاشراف، تح: عبدالله اسماعيل الصاوي، د.ط، دار الصاوي، القاهرة، د.ت، ص50.

(7) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد من اعمال فلسطين كانت قديما من اعيان امهات المدن واسعة الرقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والاهل. ليس على بحر الروم بلد اجل ولا اكثر خيرات منها تفور نعما وتندفق خيرات طيبة الساحة حسنة الفواكه، عليها حصن منيع و ربض عامر قد ادير عليه الحصن، شربهم من ابار و صهاريج و لها جامع حسن. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج7، ص107. المقدسي، احسن التقاسيم، ص 174.

(8) المهلبي، العزيزي، ص 63 - 64. ابن خلكان، وفيات

اواسط الساحل الفلسطيني[1] وهي من اعمال مدينة الرملة[2]، يفصل ارسوف عن المدن المجاورة مسافات متباينة، فبين مدينة ارسوف ومدينة قيسارية نحو ثمانية عشر ميلاً[3]، وتبعد مسافة عشرة اميال الى الشمال من مدينة يافا، وكذلك تبعد عن مدينة الرملة مسافة اثني عشر ميلاً[4]، وبناء على قول المؤرخ الشهير ابي الفداء تعد مدينة ارسوف في بداية تكوينها كونها احدى مدن القلاع[5]، ومعلوم ان المدن القديمة حين تبنى تكون على شكل قلعة محصنة، وتقع قلعة ارسوف الى الزاوية الغربية للمدينة.

وقلعة ارسوف من القلاع الحصينة التي كان لها دور كبير في حماية سكانها عند ورود الخطر حيث كانوا يلتجأون اليها، ولا ادل على ذلك من عدم تمكن الظاهر بيبرس[6] من اخذها والسيطرة عليها

الاعيان، ج4، ص154. المقدسي، المصدر نفسه، ص54؛ السمعاني، الانساب، ص166. الحموي، معجم البلدان،ج1، ص151؛ يافا: بالفاء ، والقصر: مدينة على ساحل بحر الشام من اعمال فلسطين بين قيسارية وعكا في الاقليم الثالث، طولها من جهة المغرب ست وخمسون درجة و عرضها ثلاث و ثلاثون درجة، ويافا بلد قحط و المولود فيها قل ان يعيش حتى لا يوجد فيها معلم للصبيان، افتتحها صلاح الدين عند فتحه الساحل في سنة 583 ثم استولى عليها الفرنج في سنة 587 ثم استعادها منهم الملك العادل ابو بكر بن ايوب في سنة 593 و خربها. ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ج5، ص 426.

(1) خمار، قسطنطين خمار، موسوعة فلسطين الجغرافية، منظمة التحرير الفلسطينية، د.ط، مركز الابحاث، بيروت، شباط (فبراير)، 1969م، ص135.

(2) المقدسي، احسن القاسيم، ص54؛ الرملة: وهي مدينة عظيمة في فلسطين وكانت قصبتها و واسطتها وكانت رياجاً للمسلمين، وهي في الاقليم الثالث، طولها 55 درجة وثلثان، وعرضها اثنان وثلاثون درجة وثلثان. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص426.

(3) الميل: ثلاثة الاف ذراع بذراع الملك و الذراع ثلاثة اشبار، والشبر ست وثلاثون اصبعا، والاصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها الى بعض، والميل جزء من ثلاثة اجزاء من الفرسخ وقيل: الميل الفا خطوة وثلاثمائة وثلاث وثلاثون خطوة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص36. اما اهل اللغة فعندهم (الميل) من الارض منتهى مد البصر، وميل الكحل وميل الجراحة وميل الطريق. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 641.

(4) المقدسي، المصدر السابق، ص54. ابو الفداء، تقويم البلدان، ص239. المهلبي، العزيزي، ص64-63.

(5) ابو الفداء، المصدر نفسه، ص 239؛ القلاع جمع قلعة وتعني الحصن الممتنع في جبل، و جمعها قلاع و قَلَعٌ و قُلَعٌ قال ابن بري: غير الجوهري يقول القلعة، بفتح اللام، الحصن في الجبل، وجمعه قِلاعٌ وقَلَعٌ و قِلَعٌ و اقلعوا بهذه البلاد اقلاعاً: بنوها فجعلوها كالقلعةِ، وقيل القَلْعَةُ، بسكون اللام، حصن مشرف، وجمعه قُلُوعٌ. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج8، ص290.

(6) الظاهر بيبرس: هو ركن الدين ابو الفتوح بيبرس بن عبدالله التركي البندقداري ثم الصالحي النجمي صاحب مصر والشام، ولد في حدود سنة عشرين وقيل خمس وعشرين وستمائة بارض القبجاق، اسر في احدى الغارات، بيع فشتراه الامير ايدكين علاء الدين البندقداري الذي تسمى في بادء الامر باسمه، وعندما قبض الملك الصالح ايوب على الامير علاء الدين اخذ بيبرس في جملة المماليك، كان شجاعا مقداما الى ان اشتهر وبعد صيته، شهد وقعة المنصورة، ثم كان اميراً في الدولة المعزية وتنقلت به الاحوال وصار من اعيان البحرية، ولي السلطنة في السابع عشر من ذي القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة، له ايام بيض وفتوحات مشهورة، توفي يوم الخميس الثامن والعشرين من المحرم سنة 676هـ/ 1277م، بقصره بدمشق. ينظر: (الذهبي، شمس الدين ابو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز(ت:748هـ)، العبر في خبر من غبر،

الا بعد مشقة عظيمة وحصار دام اكثر من اربعين يوماً، وبعد استخدام العديد من ألآت الحصار المختلفة هذا بالاضافة الى كون قلعة ارسوف مخزناً يضع الناس فيه غلالهم ومواشيهم واسلحتهم[1]، وقد كانت ارسوف من المدن الساحلية التي لها دور بارز في عملية مراقبة الحدود الساحليه من خلال الربُط المقامة عليها كونها من ثغور المسلمين، وقد كانت تتعرض من وقت لآخر لهجوم الاعداء.

اما تقسيمات المدينة (ارسوف) فهي تضم اضافة الى قلعتها المعروفة، قريةً الى الجنوب تعرف باسم قلعة ((الحرم-سيدنا علي)). يعود اصل تأسيسها وتسميتها الى رجل من ذرية الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ اسمه علي بن عليم أو عليل بن محمد يوسف بن يعقوب بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[2].

ثالثاً: السكان.

تميز المجتمع الشامي بشكل عام بتنوع وتعدد عناصره، قسم السكان فيه إلى فئتين عرقيتين هما فئة أكثرية وهم العرب وفئة أقلية وهم العجم[3]، وكان لهذا التنوع في السكان تأثير مباشر على مدينة الرملة والمدينة التابعة لها والتي من ضمنها مدينة أرسوف حيث كان التنوع فيها أكثر دقة إذ كانت تضم أخلاقا من القبائل التي يرجع قسم منها عربي والقسم الآخر أعجمي وقسم ثالث يرجعون سامرة[4]. أما من ناحية التنوع الديني لسكان مدينة ارسوف فكانت الوثنية واليهودية هي اكثر انتشاراً بينهم[5]، مع وجود نسبة ليست بقليلة من النصارى وذلك بسبب كون بلاد الشام بشكل عام أصل منبعهم.

تح: ابو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ج3، ص331؛ الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد عبدالرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت:764هـ)، فوات الوفيات، تح: احسان عباس، الجزء -1 1973م الجزء 4-3-2 - 1974م، ط1، دار صادر، بيروت، ج1، ص240-235.

(1) المقريزي، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت:845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1997م، ج2، ص 21-20.

(2) العليمي، ابو اليمين مجير الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمي الحنبلي (ت:928هـ)، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، د.ط، مكتبة دنديس، عمان، د.ت، ج2، ص 72 - 73؛ النابلسي، عبدالغني بن اسماعيل النابلسي (ت:1143هـ)، الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر و الحجاز، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م، ص143.

وقد ذكر بلفظ اخر وهو (غليل) ينظر: كرد علي، محمد بن عبدالرزاق بن محمد كرد علي (ت:1372هـ)، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، د.م، 1983م، ج6، ص 56.

(3) اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (ت: 284 هـ)، البلدان، وضع حواشيه: محمد امين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2002 م، ص116.

(4) السامرة: قبيلة من قبائل بني إسرائيل الذين تفرقوا بعد وفاة سليمان بن داود عليهما السلام عام 975ق.م، وهم قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم و اليهم نسب السامري الذي عبد العجل، وجبل حرزيم هو بيت عبادتهم ويزعمون أن الذبح فيه كان أسحق عليه السلام. ينظر: المقريزي، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر الحسيني العبيدي (ت:845هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ، ج4، ص383؛ ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص280.

(5) اليعقوبي، البلدان، ص116.

المبحث الثاني

لمحة تاريخية للمدينة منذ تأسيسها وحتى الفتح الإسلامي

كانت مدينة ارسوف مستوطنة منذ بدايات التاريخ الاولى، واما تحديد تاريخ بعينه لظهور هذه المدينة فلا يمكن. لكن يمكن القول انها اسست من قبل الكنعانيين في حوالي 2000 ق.م[1]، وبحسب التاريخ فأن المدينة خضعت لحكم الاشوريين خلال القرن الثامن ق.م. وكذلك خضعت المدينة لحكم الفرس عندما استولى الفرس على فلسطين عام 538 ق.م[2]. وظلت ارسوف وباقي مدن فلسطين تحت السيادة الفارسية نحو مئتي عام حتى جاء الإسكندر المقدوني وقضى على الفرس واخذ فلسطين بين الفترة الواقعة بين سنتي 333 ق.م-332 ق.م[3].

وكذلك خضعت مدينة ارسوف لحكم السلوقيين من خلفاء الاسكندر المقدوني[4].

(1) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج4، ص355.
(2) الدباغ، المرجع نفسه، ج1، ص289.
(3) ابو الفداء، البلدان، ج1، ص45. ابن الوردي، ابن الوردي، ابو حفص عمر بن مظهر بن عمر بن محمد ابن ابي الفوارس، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت:749هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1996م، ج1، ص47. كرد علي، خطط الشام، ج1، ص92.
(4) الاسكندر المقدوني: ولد سنة 356ق.م، امه الاميرة اوليمبياس شقيقة ملك ابيروس، تولى العرش سنة 336ق.م بعد وفاة ابيه الملك فليب الثاني ملك مقدونيا، كان عمره عشرين سنة، تعلم الادب والشعر وفن الكلام على يد الفيلسوف اليوناني ارسطو اليس، وكان يتمتع بعبقرية عسكرية وشجاعة نادرة، اثبت الاسكندر جدارة وشجاعة فائقة في سرعة قمع التمرد الذي وقع في اليونان والذي كان وراءه الفرس الاخمينيون، فتح

تعرضت مدينة ارسوف للتدمير والتخريب على يد الكسندر يانوس الحشموني[5] المكابي، وكان الكسندر قد استولى على جميع مدن فلسطين حتى حدود مصر باستثناء مدينة عسقلان[6]. وبقيت مدمرة حتى بداية الحكم الروماني لفلسطين ويبدو ان المدينة لم تحض باهتمام الرومان خلال فترة حكمهم وسيطرتهم عليها وعلى فلسطين عموماً والظاهر ان ارسوف لم تكن مدينة في ذالك الوقت و إلّا لكانت قد سكت نقوداً خاصة بها، ولعلها تراجعت الى مرتبة طوبارخية[7] او بلدة او قرية وارسوف بدأت

بلاد الشام ومصر وحضي بلقب الفرعون رغم انه لم يكن سليل الفراعنة، اراد توحيد الدينا وحكمها على نهجه وفكره و اعتقادة. ينظر: محمد، هشام، الاسكندر الاكبر، ط1، دار مشارق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2008م، ص27،19،16،10-9؛ جواد، حسن حمزة، نشوء الدولة السلوقية وقيامها (دراسة تاريخية -312 64ق.م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب- جامعة بغداد، 2008م، ص11 - 12.

(5) الكسندر يانوس: هو الكسندر ابن يوحنا هركانوس المكابي، ينتمي الى احدى الاسر اليهودية التي اشتهرت في التاريخ باسم الاسرة الحشمونية المكابية، تولى حكم اليهود عام 104ق.م، واستمر في حكمهم هو و زوجته حتى عام 70ق.م، وقد عُرِفَ انه دمر مجموعة من المدن و اهمها فيلوتيريا (خربة كرك) الوقعة على بحرية طبرية وسلوقيا في الجولان فضلاً عن مدينة ارسوف الفلسطينية. ينظر: جونز، مدن بلاد الشام، ص -33 34، 60-59.
(6) جونز، المرجع نفسه، ص 60.
(7) الطوبارخية: هذا المصطلح من المصطلحات الرسمية البطليمية، وقد طبق في فلسطين طوبارخية يافا وارسوف ويبنا و اسدود، وتعني هذه الكلمة ولاية صغيرة، وهي تقابل قرية، وكان لها كاتب يعينه الملك، وقد استمر هذا النظام خلال الحكم السلوقي، وقد اشتهرت خلال تلك الفترة الطوبارخيات الاربع: اللدو الطيبة و رنتيس وعاقر. ينظر: جونز، المرجع نفسه، ص 89-88، 101.

تأخذ مكانتها القديمة في عهد الدولة البيزنطية، خصوصاً بعد دخول الدين المسيحي الى دولة بيزنطة، حتى سميت ارسوف في هذا العهد باسم (صوزوسا) وتعني المسيح المخلص، وقد كانت مدينة ارسوف في العهد البيزنطي تابعة لولاية فلسطين الاولى والتي تتألف من نابلس[1] و بيت المقدس[2] والخليل[3] والسهل الساحلي حتى رفح[4] وقيسارية[5]. كما وقد خضعت مدينة ارسوف كباقي مدن فلسطين الاخرى للحكم الفارسي للمرة الثانية عام 611 م على يد القائد الفارسي شهربراز[6]، إلا ان هذه السيطرة على ارسوف خاصة

(1) نابلس: بضم الباء الموحدة واللام، والسين مهملة، وهي مدينة مشهورة بارض فلسطين بين جبلين مستطيلة لا عرض لها كثيرة المياه لأنها لصيقة جبل، ارضها حجر، بينها وبين المقدس عشرة فراسخ، ولها كورة واسعة وعمل جليل كله في الجبل فيه القدس، وسئل شيخ من اهل المعرفة من اهل نابلس لِمَ سميت بذلك قال انه كان هنا وادي فيه حيه قد امتحنت فيه وكانت عظيمة جداً وكانوا يسمونها بلغتهم لس فاحتالوا عليها حتى قتلوها وانتزعوا نابها و جاءوا بها فعلقوها على باب هذه المدينة فقيل هذا ناب لس، أي ناب الحية، ثم كثر استعمالها وغلب هذا الاسم عليها، وتحت المدينة مدينة منقورة في حجر وبها اخلاط من العرب والعجم والسامرة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص28. اليعقوبي، البلدان، ، ص 166 – 167.

(2) بيت المقدس: وهي مدينة تقع في الجزء الخامس من الاقليم الثالث وهي مدينة جليلة قديمة البناء ازلية وكانت تسمى ايليا وهي على جبل يصعد اليها من كل جانب، تضم البيت المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام وكان مسجداً محجوجا اليه في ايام دولة اليهود ثم انتزعه المسلمين فكان معظماً في ملكهم وهو المسجد المعظم المسمى بالمسجد الاقصى وليس في الارض مسجد على قدره إلا المسجد الجامع بقرطبة، وتضم كذلك كنيسة القيامة المحجوج اليها من جميع الروم في مشارق الارض ومغاربها. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص347، 357 – 358 .

(3) الخليل: اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب البيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل ابراهيم عليه السلام، في مغارة تحت الارض، وسمي الموضع بالخليل واسمه الاصلي حبرون، وقيل حبى، وهو موضع نزه، وآثار البركة ظاهرة عليه، ويقال ان حصنه من عمارة سليمان بن داود عليهما السلام. ينظر: (الحموي، المصدر السابق، ج 20، ص 387).

(4) رفح: بفتح اوله وثانيه، واخره حاء مهمله، وهي مدينة عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق، اهلها من لخم وجذام ومنهم لصوصة وإغارة على امتعة الناس، وهي منزلة في طريق مصر بعد الداروم بينها وبين عسقلان يومان للقاصد من مصر، وهي اول اعمال الرمل، واخر اعمال الشام. ينظر: (الحموي، المصدر نفسه، ج 3، ص 54. اليعقوبي، المصدر السابق، ج 1، ص 168).

(5) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج 1، ق 1، ص 192، ومن الجدير بالذكر ان بلاد الشام اثناء الحكم البيزنطي وذلك حوالي عام 400 م كانت مقسمة الى سبعة اقسام ادارية يسمى كل قسم ولاية ولكل ولاية حاكم. ينظر: الدباغ، المصدر نفسه، ج 1، ص 692 – 693 .

(6) شهربراز: هو فرخان ماه اسفنديار قائد فارسي،

وفلسطين عامة لم تدم طويلاً، حيث قام هرقل 610م-641م بتجهيز جيش ودخول فارس والتوغل حتى الوصول الى مدينة نينوى[1] سنة 627 م. ودارت مع الجيش الفارسي معركة عنيفة انتهت بانتصار هرقل وهزيمة الفرس، وبهذا النصر عادت فلسطين ومنها مدينة ارسوف الى الحكم البيزنطي مرة اخرى[2].

وهذه السيطرة البيزنطية كذلك لم تدم لفترة طويلة بعد ظهور قوة المسلمين العرب وتمكنهم في مدة قصيرة من فتح جميع الاراضي العربية الخاضعة منذ الالاف السنين تحت سيطرة تلك الامبراطوريتين كما سيأتي تفصيله ومنها مدينة ارسوف موضوع البحث.

المبحث الثالث

الفتح الاسلامي لمدينة ارسوف

لم يكن موضوع فتح بلاد الشام قد وقع في عهد ابي بكر الصديق رضي الله عنه، بل بوادره و ارهاصاته كانت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل السرايا[3] التي كان يرسلها الى اطراف بلاد الشام الجنوبية والمحاذية لاطراف الجزيرة العربية الشمالية، والتي كانت تسكنها قبائل عربية[4] ترتبط بالدولة البيزنطية بتحالفات[5].

وشهربراز مرتبته، لم يكن من العائلة المالكة، كانت امه منجبه لا تلد إلا نجيباً استقدمها ابرويز كسرى الفرس ليستشيرها فيمن يرسل من اولادها لقتال الروم فأشارت عليه بشهربراز لاتصافه بالحلم والشجاعة، فجُهز وسار الى الروم فأحتل مدنهم وخربها وقطع اشجارهم. باستخدام الحيلة في قتال هرقل حتى جعله يرجع من المدائن الى بلاده، عند قتل اردشير تولى مكانه اربعين يوما ثم قتل على يد ثلاثة اخوة من اهل أصطفر. ينظر: الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الاملي الطبري (ت310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ، ج 2، ص 231؛ ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:597هـ)، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تح: محمد عبدالقادر عطا- مصطفى عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م، ج3، ص 349؛ ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري عز الدين (ت:630هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبدالسلام تدمري ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1997م، ج 1، ص 475 - 478، 498 - 499).

(1) نينوى: بكسر اوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والولو، وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل. ينظر: (الحموي، معجم البلدان، ج5، ص336).

(2) الدباغ، المرجع السابق، ج1، ص 700.

(3) السرايا: مفردها سرية، هي قطعة من الجيش، مابين خمسة انفس الى ثلاث مئة. او هي من الخيل نحو اربعمائة. ينظر: الرازي، مختار الصحاح، ص 429.

(4) ومن هذه القبائل قبيلة بنو عذره وبنو سعد هذيم وكانت هاتان القبيلتان تسكنان في الطريق الذي يربط شمال الحجاز بجنوب الشام، وكذلك كانت قبيلتا جذام ولخم تسكنان بلاد الشام حيث سكن الجذام في المنطقة الواقعة بين تبوك الى وادي عربة والبحر الميت حتى منطقة البلقاء. اما لخم فقد سكنت فلسطين، اما قبيلة القين (او بلقين) قد سكنت في المنطقة الواقعة شرق ديار لم وجذام، أي المنطقة الممتدة من وادي فجر، شمال تيماء، بمحاذات وادي السرحان، وباتجاه الشمال الى تخوم حوران. ينظر: ابن الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد بن ابي النضر ابن السائب ابن بشر الكلبي (ت:204هـ)، جمهرة انساب العرب، تح: عبدالستار احمد فراج، د.ط، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1983م، ج2، ص48 وما بعدها- مادة القين، -375 376 مادة جذام.

(5) عثامنة، خليل، فلسطين في خمسة قرون من الفتح الاسلامي حتى الغزو الفرنجي 634 - 1099م، ط1،

وكان الصديق رضي الله عنه قد عقد اربعة الوية لهذا الغرض وكانت كالاتي فبعث عمرو بن العاص قِبَل فلسطين وبعث يزيد بن ابي سفيان[1] و ابا عبيدة بن الجراح[2] وشرحبيل بن حسنة[3]. ويمكن القول ان في هذه المرحلة المبكرة من الفتح كان ميدان نشاط القادة الاربعة بعيداً عن المدن الكبرى وعن المناطق الزراعية المأهولة في اواسط الشام، وانهم ركزوا عملياتهم في المناطق التي كانت تسكنها قبائل عربية بدوية مرتحلة او نصف مرتحلة، حيث كانت تشكل هذه القبائل غالبية السكان[4]، و فعلاً بدأ تحرك الامراء نحو بلاد الشام وتحت إمرة كل امير منهم ثلاثة الالاف رجل في بادئ الامر ولازال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يدفع اليهم بالمدد تلو الاخر حتى صار مع كل امير سبعة آلاف وخمسمئة فارس حتى جمعهم بعد ذلك اربعة وعشرين الفاً[5].

وتنفيذاً لأمر الخليفة ابي بكر الصديق رضي الله عنه قاد عمرو ابن العاص جيشه نحو الجنوب الفلسطيني سالكاً الطريق الساحلي الذي كانت تسلكه القوافل التجارية، والذي يعرف باسم طريق المعرفة حتى انتهى الى أيلة عند رأس خليج العقبة[6]، اما بقية القادة الاخرون الذين توجهوا نحو سوريا والاردن فكانوا قد تمكنوا من الوصول إلى اهدافهم المنشودة والتي حددها لهم الخليفة ابو بكر رضي الله عنه[7]، بعد ان بلغ هرقل تقدم الجيوش العربية الاسلامية الى بلاد الشام سارع الى تحشيد قواته ايضا وبشكل سريع وجهز جيشا وأمره بالتوجه لملاقات المسلمين.

مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2000م، ص 88.

(1) يزيد بن ابي سفيان: هو يزيد بن ابي سفيان بن حرب بن امية الاموي ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الاموي، كان من العقلاء الالباب، والشجعان المذكورين، اسلم يوم الفتح، وحسن اسلامه، وشهد حنيناً، فقيل ان النبي ﷺ اعطاه من غنائم حنين مائة من الابل، وأربعين اوقية فضة، وهو احد الامراء الاربعة الذين ندبهم ابو بكر لغزو الروم، توفي بالطاعون سنة ثمانية عشر. ينظر: الذهبي، سير، ج1، ص328 – 330.

(2) ابو عبيدة بن الجراح: هو ابو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن جنة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النفر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن مقد بن عدنان القريشي، الفهري، المكي. احد السابقين الاولين، من عزم الصديق على توليته الخلافة، واشار به يوم السقيفة، لكمال اهليته عند ابي بكر يجتمع في النبي هو النبي ﷺ في فهر، شهد له النبي ﷺ بالجنة وسماه امين الامة، ومناقبه شهيرةً جمةٌ. ينظر: الذهبي، المصدر نفسه، ج1، ص5 – 6.

(3) شرحبيل بن حسنة: كنيته ابا عبد الله و يقال ابا عبدالرحمن ويقال ابا وائلة وحسنة امه على ما جزم به غير واحد وقيل انها تبنته وابوه عبدالله بن المطاع بن عبدالله الغظريف بن عبد العزى بن جثامة بن مالك الكندي ويقال التميمي، ويقال: انه من ولد الغوث بن مر اخي تميم بن مر، فقيل له التميمي لذلك، هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة ونزل في بني زريق، له رواية عن النبي ﷺ عن ابن ماجة وعن عبادة بن الصامت، هلك في الطاعون (طاعون عمواس). ينظر: العسقلاني، الاصابة، ج3، ص 265 – 266.

(4) عاقل، نبيه، فلسطين من الفتح العربي الاسلامي الى اواسط القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ص 264.

(5) البلاذري، البلاذري، ابو الحسن احمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت:279هـ)، فتوح البلدان، بأشراف لجنة تحقيق التراث، د.ط، دار مكتبة الهلال، بيروت– لبنان، 1988م، ص112.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص 391.

(7) الطبري، المصدر نفسه، ج3، ص 387.

اكمل الفاتحون تقدمهم حتى إذا وصلوا فلسطين مدداً لعمرو بن العاص حيث التقوه (بالعربات)[1] حيث كان مقيماً، حيث التقى الجيش الاسلامي مع جيش الروم بعد توجهه الى منطقة اجنادين[2] اذ وقعت بينهم المعركة المشهورة والتي تعتبر أول صدام كبير بين الفاتحين وبين الروم وكانت قد حدثت (27 – 28 جمادي الاول عام 13 هـ/ 29 – 30 تموز–يوليو عام 634 م)، والتي انتهت بالنصر الساحق للمسلمين، وفي جمادي الاخر توفي الصديق ابو بكر رضي الله عنه اي بعدها بنحو شهر[3].

وعلى اثر معركة اجنادين إنسحبت فلول الحامية البيزنطة الى مدينة فحل[4] وتلاقى المسلمين مع الروم في المدينة فدارت المعركة بينهم في 28 ذي القعدة عام 13هـ بعد خمسة أشهر من استخلاف عمر بن الخطاب ﷺ وكانت معركة ضارية اظهر الله فيها المسلمين على الروم بحيث قُتل فيها ما يقارب عشرة آلاف مقاتل وفر الباقون في مدن الشام وتحصن اهل فحل في المدينة فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا انتهى بطلب اهل المدينة الامان على اداء الجزية والخراج على اراضيهم فتم عقد الامان[5] وبذلك تكون المدينة دخلت في عداد المدن المفتوحة من بلاد الشام، وبعد موقعة فحل سار الجيش الاسلامي متوجهاً الى مدينة دمشق[6]، وعند اقترابه من المدينة وعند منطقة مرج الصفر[7] جرت بين المسلمين والروم الذين تجمعوا مرة اخرى وكانت وقعة عرفت باسم المكان (مرج الصفر) كان النصر فيها حليف المسلمين والتي حدثت في شهر محرم عام ١٤هـ[8] وبعد معركتي اجنادين وفحل حاصر

(1) العربات: جمع عربة وهي في الاصل اسم لبلاد العرب، والمقصود بها هنا موضع في ارض فلسطين. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص96.

(2) اجنادين: بالفتح، ثم السكون، ونون والف، وتقع الدال فتكسر معها النون، فيصير بلفظ التثنية، وتكسر الدال، وتفتح النون بلفظ الجمع، واكثر اصحاب الحديث يقولون انه بلفظ التثنية، وهو موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين. ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ج1، ص103.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص117. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص103 – 104.

(4) فُحلٌ: بكسر اوله، وسكون ثانيه، واخره لام: اسم موضع بالشام كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم، ويوم فحل مذكور في الفتوح و اظنه عجمياً لم اره في كلام العرب، قتل فيه ثمانون الفاً من الروم وكان يوم فحل يسمى يوم الرزعة وايضا ويوم بسيان. ينظر: (الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص237).

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص118.

(6) دمشق: بكسر اوله، وفتح ثانيه، هكذا رواه الجمهور والكسر لغة فيه، وشين معجمة، واخره قاف: البلدة المشهورة قصبة الشام، وهي جنة الارض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعته وكثرة فاكهته ونزاهة رقعته و كثرة مياه و وجود مارب، قيل: سميت بذلك لانهم دمشقوا في بناءها أي اسرعوا، وناقة دمشق، بفتح الدال وسكون الميم سريعة، وناقة دمشق اللحم، حقيقة، طولها ستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونصف، وهي في الاقليم الثالث، وقد تعددت الروايات حول تسميتها منها انها سميت بهذا الاسم نسبة لدمشق بن قاني بن مالك بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام. ينظر: (الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 463).

(7) مرج الصفر: صُفر: بالضم ثم الفتح و التشديد، والراء، كأنه جمع صافر مثل شاهد وشهد وغاب وغيب، و الصافر الخالي، وهو مرج الصفر: موضع بين دمشق والجولان صحراء كانت بها وقعة مشهورة في ايام بني مروان، وقد ذكروه في اخبارهم و اشعارهم. ينظر: (الحموي، المصدر نفسه، ج3، ص413).

(8) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بأبن عساكر (ت:571هـ)، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمري، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع، دمشق، 1995م، ج8، ص378؛

المسلمون مدينة دمشق بقيادة الصحابي الجليل ابو عبيدة ابن الجراح مدة مما دفع المحاصرون في دمشق بأن يطلبوا المعونة من هرقل، لكن جيش المسلمين تمكن من القضاء على الامدادات واستمر في حصار دمشق. الى ان تمكن المسلمون – بفضل الله – من فتح المدينة ذلك الفتح الذي اجمعت الروايات على انه حدث في (رجب من عام 14 هـ/ اب-ايلول 635 م)[1]، وبعد فتح مدينة دمشق اتجه ابو عبيدة ابن الجراح الى مدينة حمص[2] و وقع القتال ابتداءاً ثم طلبوا الامان والصلح فصالحوا على مائة الف وسبعين الف دينار[3]، بعد ذلك عبر المسلمون نهر اليرموك في مقدمتهم خالد بن الوليد وعسكروا على الضفة الشمالية للنهر، وكان هرقل قد جمع جموعاً كثيرة من الروم تصل إلى حدود المائتي الف، وصار الروم بين نهر اليرموك من الجنوب وبين المسلمين من الشرق والشمال ودارت بينهم معركة حامية الوطيس انكسر فيها الروم انكساراً عظيماً وقدر عدد قتلاهم بسبعين الفاً وقد حدثت معركة اليرموك في رجب عام (15 هـ/ اب-ايلول عام 636 م)[4].

كانت معركة اليرموك آخر المعارك المهمة من معارك فتوح الشام ولم يبقى بعدها في يد الروم من المدن الفلسطينية الهامة سوى بيت المقدس وقيسارية[5]، ويمكن القول ان فتح الجزء الأعظم من شمال فلسطين تم بقيادة شرحبيل بن حسنة، وان فتح جنوب فلسطين والجهة الواقعة غرب بيت المقدس والمنطقة التي تحيط بالرملة وغزة وخصوصاً الساحلية منها فيعود الفضل في فتحها لعمرو بن العاص. اذ تذكر المصادر أنه بعد فتحه لغزة في خلافة أبي بكر وقام بفتح سبسطية[6] ونابلس على ان اعطى سكانها الامان على انفسهم و اموالهم ومنازلهم مقابل دفع الجزية على رقابهم والخراج على اراضيهم، ثم فتح بعد ذلك اللد[7]، ثم يبنى

البلاذري، فتوح البلدان، ص121.

(1) ابن خياط، ابو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت:240هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، ط2، مؤسسة الرسالة، دمشق، دار القلم، بيروت، 1397هـ ، ص 125 – 126.

(2) حْمِصُ: بالكسر ثم السكون ، والصاد مهملة: بلد مشهور قديم مسور، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبيرة، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق، يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف، وقيل: حمص حموصا وانحمص ينحمص انحماصا اذا ذهب ورمه، طول حمص احدى وستون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلثان، وهي في الاقليم الرابع. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص302.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص 132.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص570؛ البلاذري، المصدر نفسه، ص138.

(5) كرد علي، خطط الشام، ج1، 84.

(6) سبسطية: بفتح أوله وثانيه، وسكون السين الثانية، وطاء مكسورة، وياء مثناة من تحت مخففة، وهي بلد من نواحي فلسطين بينها وبين البيت المقدس يومان، وبها قبر زكريا ويحيى بن زكريا عليهما السلام، وجماعة من الانبياء والصديقين، وهي من اعمال نابلس. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص 184.

(7) اللد: قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين. ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ج5،ص15.

وعمواس[1] وبيت جبرين[2] واتخذ بها ضيعة تدعى عجلان باسم مولى له، وفتح يافا. ويقال فتحها معاوية بن ابي سفيان[3]، وفتح بعد ذلك مدينة رفح على مثل ما فتح عليه سائر المدن[4].

وبعد فتح رفح على يد عمرو بن العاص قدم عليه ابو عبيدة بن الجراح بعد ان فتح قنسرين ونواحيها سنة ستة عشر وهو محاصر (ايلياء) بيت المقدس فطلب اهلها الصلح على ان يتولى العقد لهم عمر بن الخطاب ﷺ شخصياً، فقدم وانفذ الصلح وكتب لهم عهدا[5]، وقد حاصر مدينة قيسارية بعد فتح بيت المقدس لمدة ورحل الى مصر تارك فتحها لمعاوية بن ابي سفيان، وبهذا يكون عمرو بن العاص شهد اكثر معارك فتح ارض الشام وكان اكثرها على يده[6].

وهكذا استمر عمرو بن العاص وبقية القادة في عمليات الفتح ورغم ان المصادر التاريخية لم تترك شاردة وواردة الا ووثقت لها في فتوح الشام حتى ان الواقدي افرد كتاباً اسمه فتوح الشام. الا اننا لم نعثر على ذكر واضح وصريح لعملية فتح مدينة ارسوف مدار بحثنا وهذا ما يؤكد ان هذه المدينة كانت تابعة لإحدى المدن القريبة منها وهذا ما ذكره ابن شداد بقوله مستهدفاً مدينة ارسوف (ليس لها في الفتوح العمري ذكر، ولا فيما وقفت عليه في الكتب المؤلفة في صدر الاسلام)[7]، ولذا يمكن القول ان فتح مدينة ارسوف تم على غرار

(1) عمواس: رواه الزمخشري بكسر الوه، وسكون ثانيه، و رواه غيره بفتح اوله وثانيه، واخره سيم مهملة: وهي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، قال البشاري: عمواس ذكروا انها كانت القصبة في القديم وانما تقدموا الى السهل والبحر من أجل الآبار لان هذه على حد الجبل، وقال المهلبي: كورة عمواس هي ضيعة جليلة على ستة اميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب ﷺ ثم فشا في ارض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة ﷺ، ومن غيرهم، ذلك في سنة 18 للهجرة. ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص 157 – 158.

(2) بيت جبرين: بلد بين بيت المقدس وغزة، وبينه وبين القدس مرحلتان، وبين غزة اقل من ذلك، وكانت فيه قلعة حصينة خربها صلاح الدين الايوبي لما استنقذ بيت المقدس من الافرنج، وبين بيت جبرين وعسقلان واد يزعمون أنه وادي النمل التي خاطب سليمان بن داود العلم، وقد نسب اليها من ذكرناه في جبرين. ينظر: الحموي، المصدر نفسه، ج 1 ، ص 519.

(3) معاوية بن ابي سفيان: واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن اميه بن عبد شمس بن عبد مناف، وامه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، يكنى أبا عبدالرحمن اسلم هو و ابوه وامه يوم الفتح، وهو احد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ، فتح قيسارية سنة تسعة عشر تولى الشام في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، بعد وفاة اخيه يزيد بن ابي سفيان واستمر واليا عليها لمدة عشرين سنة، لقبه عمر بن الخطاب – بفتى قريش، تولى الخلافة بعد مبايعته من قبل الحسن بن علي بن ابي طالب ﷺ سنة احدى واربعين (عام الجماعة)، استمرت خلافته لمدة عشرين سنة، توفي في النصف من رجب سنة ستين بدمشق، ودفن بها. ينظر: ابن عبدالبر، ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي (ت:463هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجبل، بيروت، 1992 م، ج3، ص 1416 – 1419.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص140؛ كرد علي، خطط الشام، ج1، ص84.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص610–609.

(6) خطاب، محمود شيت، قادة فتح الشام ومصر، ط1، دار الفتح، بيروت، 1965م، ص136.

(7) ابن شداد، عز الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي(ت:684هـ)، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تح: سامي الدهان، د.ط، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1962م، ص 106.

ما فتح من المدن الساحلية او المدن الواقعة غرب مدينة بيت المقدس كما اسلفنا.

وبناءاً على ما تقدم يمكننا القول انه بالرغم من ان المصادر التاريخية لم تسعفنا لمعلومات تشير الى القائد الذي قام بعملية الفتح بشكل صريح ولا الى السنة التي تمت بها هذه العملية، إلا اننا نرجح قيام عمروا ابن العاص بهذه المهمة (فتح مدينة ارسوف) عام (15هـ/ 636م) استناداً على انه فتح كل من غزة ويافا ونابلس واللد ويبنى وعمواس وبيت جبرين ورفح وبقت مدينتي قيسارية وبيت المقدس محاصرتين كما اسلفنا سابقاً ولعل هذا الاستثناء للمدينتين يشير صراحةً الى ان مدينة ارسوف خضعت للحكم الاسلامي قبليهما.

المصادر والمراجع

المصادر العربية

1- ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري، عزالدين (ت:630 هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبدالسلام تدمري ، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1997م.

2- ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت:597هـ)، المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تح: محمد عبدالقادر عطا- مصطفى عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992 م.

3- الحموي، شهاب الدين ابي عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي (ت:626هـ)، معجم البلدان، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م.

4- ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد ابراهيم بن ابي بكر ابن خلكان البرمكي الاربلي (ت:681هـ)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تح: احسان عباس ط: الجزء1900:1م، الجزء2: 1900م، الجزء 3: 1900م، الجزء4: 1971م، الجزء5: 1994م، الجزء6: 1900، الجزء7: 1994م، دار صادر، بيروت.

5- ابن خياط، ابو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت:240هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، ط2، مؤسسة الرسالة، دمشق، دار القلم، بيروت، 1397هـ.

6- الادريسي، ابو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف (ت:560هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

7- الذهبي، ابو عبدالله شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت:748هـ). سير اعلام النبلاء، تح: شعيب الارناؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، د.م، 1985م.

8- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبد القادر (ت:666هـ)، مختار الصحاح، د.ط، الرسالة، الكويت، 1983م.

9- السمعاني، ابي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت:562هـ)، الانساب، تح: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، ط1، مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر اباد، 1962م.

10- ابن شداد، عز الدين ابو عبدالله محمد بن علي بن ابراهيم الحلبي(ت:684هـ)، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تح: سامي الدهان، د.ط، وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، 1962م.

11- العسقلاني، ابو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد بن حجر (ت:852هـ). الاصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل احمد عبدالموجود- علي محمد عوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ.

12- العليمي، ابو اليمين مجير الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العليمي الحنبلي (ت:928هـ)، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تح: عدنان يونس عبدالمجيد نباتة، د.ط، مكتبة دنديس، عمان، د.ت.

13- ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بأبن عساكر (ت:571هـ)، تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمري، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1995م.

14- ابن عبدالبر، ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي (ت:463هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط1، دار الجبل، بيروت، 1992 م.

15- ابو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن ايوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت:732هـ)، تقويم البلدان، تح: رينود والبارون ماك كوين ديسلان، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.

16- ابن قدامة، ابي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي (ت:329هـ)، الخراج وصناعة الكتابة، تح: محمد حسين الزبيدي، ب.ط، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والاعلام- العراق، 1981م.

17- الكتبي، محمد بن شاكر بن احمد عبدالرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت:764هـ)، فوات الوفيات، تح: احسان عباس، الجزء 1- 1973م الجزء 2-3- 4 - 1974م، ط1، دار صادر، بيروت.

18- كرد، علي، محمد بن عبدالرزاق بن محمد كرد علي (ت:1372هـ)، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، د.م، 1983م.

19- المقدسي، شهاب الدين ابي عبدالله محمد بن احمد بن ابي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري (ت:380هـ)، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط2، ليدن، 1909م.

20- المهلبي، الحسن بن احمد المهلبي العزيزي (ت:380هـ)، العزيزي او المسالك والممالك، جمعه وعلق عليه و وضع حواشيه: تيسير خلف، ط1، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، 2006م.

21- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، ابو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي(ت:711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.

22- المسعودي، ابو الحسن، على بن الحسين بن علي المسعودي (ت:346هـ)، التنبيه والاشراف، تح: عبدالله اسماعيل الصاوي، د.ط، دار الصاوي، القاهرة، د.ت.

23- المقريزي، ابو العباس تقي الدين احمد بن علي بن عبدالقادر الحسيني العبيدي المقريزي (ت:845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1997م.

24- المزي، جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف ابو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي ابي محمد القظاعي الكلبي (ت:742هـ)، تهذيب الكمال في اسماء الرجال، تح: بشار عواد معروف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980م.
25- النابلسي، عبدالغني بن اسماعيل (ت:1143هـ)، الحقيقة والمجاز في الرحلة الى بلاد الشام ومصر و الحجاز، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1986م.
26- ابن الوردي، ابو حفص عمر بن مظهر بن عمر بن محمد ابن ابي الفوارس، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي (ت:749هـ)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1996م.
27- اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضع اليعقوبي (ت:284 هـ)، البلدان، وضع حواشيه: محمد امين ضناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2002 م.